لغـــة الأندلسيين

إبـــان الحكـــم الإسلامـــي

(٩٢ - ٨٩٧) هـ (٧١١ - ١٤٩٢) م

للدكتور / عبد الحكيم حسين عبد الرحمن

الأستاذ المساعد بقسم أصول اللغة العربية

كلية اللغة العربية بأسيوط

تمهيـــد

لكل أمة لغة عامية ، ولغة أدبية نموذجية ، وهكذا كان سكان الأندلس في فترات الحكم الإسلامي ، ولا شك أن اللغة الرسمية التي كانوا يتحدثون بها في مواطن الجد والخطابة علـى المنابر والمحافل والقصائد في الأغراض الرسمية هي اللغة العربية الفصحى ، وهي التي دون بها التراث الأندلسي في جميع تخصصاته واتجاهاته العلمية وهذا التراث الأندلسي الذي بين أيدينا خير دليل على صحة ما نقول وهو سيادة اللغة العربية الفصحى في تلك المجالات يقـول الدكتور / أحمد هيكـــل [1] : " ولما كان الإسلام لا يعيش وحده في تلك البلاد كانت اللغة العربية كذلك لا تحيا وحدها على لسان تلك البلاد ، ولقد ثبت أن الفصحى ـــ وإن كانـــت اللغـــة العلمية والأدبية والرسمية ـــ قد عاشت إلى جانبها اللغة العامية كوسيلة للحديث العادي ، وهذا أمر طبعي تؤيده الظواهر اللغوية في كل لغة وفي كل قطر تقريبًا حتى لا تحتاج معه إلى أدله خاصة تؤيد حياة هذه العامية الأندلسية إلى جانب الفصحى ومع هذا فهناك أدلة عديدة تؤكد أن الأندلسيين كانت لهم عامية عربية يستخدمونها في حياتهم اليومية ويتكلمون بها في حديثهم البعيد عن العلم والأدب والرسميات " .

علـــى أنه يجب أن نقرر أن الفصحى كانت في المحل الأول لأنها لغة العلم والأدب العالي ، أما العامية العربية فكانت تلي تلك الفصحى في الأهمية والمنزلة ، لاستنادها وتفرعها عنها ، أما العامية اللاتينية فكانت في المحل الأخير ، وكانت تحيا بين بعض السكان الأصليين الذي استعربوا فيها بعد وصار لسانهم عربيا ، والكثير منهم دخلوا في الإسلام فصار لسانهم عربيا ، على أنه لم يمض وقت طويل حتى زحزحت اللغة العربية باعتبارها لغة الحضارة اللغة

---

[1] الأدب الأندلسي / ٤٣ ، ٤٤ .

اللاتينية حتى عدت لغة العرب اللغة الرسمية في البلاد كما أن الإسلام دينها الرسمي ، وأصبحت لسان الخاصة والعامة في مختلف جوانب الحياة في المجتمع الأندلسي .

ونحن في هذا البحث نود أن نثبت عروبة عامية سكان الأندلس أيضا ـــ إبان الحكم الإسلامي ـــ ، ولم تكن عاميتهم اللاتينية أو الرومانية ، مخالفين كثيرًا من العلماء والمستشرقين الذين يقولون بأن عاميتهم لاتينية أو رومانية ، وهم يتولون ذلك بحجة أن عدد العرب الخلص والفاتحين كان قليلاً جدًا بناء على ذلك : " إننا لا نستطيع اعتبار الأندلسيين شاسين أو مشارقة ابتداء من جيلهم الثالث أو الرابع بعد الفتح " [1] بدافع الانتقاص من العهد الإسلامي ، وليس بدافع البحث العلمي النزيه .

نحن نخالف هؤلاء ، ولا نرى أن الأندلسيين في شؤونهم العادية اليومية ، وأحاديثهم فيما بينهم كانوا يستعملون لهجة من اللاتينية الدارجة ، أو الرومانية ، أو العجمية أو اللطينية ، كما تسمى عند بعضهم [2] ، ولكننا نرى أن عامية الأندلسيين صارت عربية بعد الفتح الإسلامي ، أصابها ما يصيب اللغات من الانحراف عن الفصحى ، في المفردات والأصوات والمعاني نقول : إن عاميتهم كانت عربية ، وإن دخلت فيها بعض الألفاظ الرومانية كما دخلت فيها بعض الألفاظ الفارسية التي تسربت إلى العربية الفصحى قديمًا وازدادت بعد الفتح الإسلامي ونحن نبادر بدحض وبطلان حجة القائلين بأنها لاتينية أو رومانية بسبب قلة العنصر العربي فنقول : صحيح إن المهاجرين كانوا قلة من الفتح الإسلامي في بادئ الأمر وفي السنوات الأولى للفتح لكن سرعان ما توالت الهجرات مع توالي الأيام والسنين .

وهؤلاء الفاتحون والمهاجرون كان لسانهم العربية ، حتى ولو كانوا من أصول بربرية فهؤلاء قد أسلموا وكثير منهم ولدوا في الإسلام ، ولسانهم عربي ، والفاتحون الأوائل قد اختلطوا بالسكان الأصليين الذين كانوا يتكلمون اللاتينية قبل الفتح الإسلامي ، بل إن كثيرًا من السكان الأصليين قد اعتنقوا الإسلام وتعلموا العربية لأنها لغة العبادة وتلاوة القرآن الكريم ولا يصح إلا بها ، وإذا قلنا : إن النزعة الدينية أقوى من النزعة العرقية لدى المجتمعات عمومًا فلا شك أن ذلك يجعل الغلبة للغة الدين على اللغة القومية .

---

[1] الحياة الاجتماعية في الأندلس / ٣٥ .

[2] دراسات عن ابن حزم وكتابه " طوق الحمامة " ص ٢٥ .

ولذلك وجب علينا أن نقف على العنصر التركيبي لسكان الأندلس قبل الإسلام ، وبعـــده حتى نعرف لغة هذا الشعب الذي كان يسكن شبه جزيرة " أيبيريا" كما كان يطلق عليها قبل الفتح الإسلامي [١] .

والـــذي لا شـــك فيه أن السواد الأعظم من السكان كانوا يتكلمون عندما فتح المسلمون البلاد العامية اللاتينية التي كانت فيما يبدو مختلفة عن الرومانية .

* * *

---

[١] دراسات أندلسية / ٩ .

العنصر التركيبي لسكان الأندلس قبل الإسلام

يقـــول الدكـــتور / إبراهيم أبو الخشب : " والثابت في نظرية الشعوب أن سكان جزيرة الأندلس من الجنس السامي الذي نزح من غرب آسيا قبل الميلاد بآلاف السنين ، إلى ضـــفتي دجلـــة والفرات وفينيقيا ، وفلسطين ، ومصر ، وقرطاجنة ، وأسبانيا ولما دخلها الرومان ، وهم من الجنس الهندي الأوربي أو الأبيض الشمالي اختلطت الجنسية .

ولما استولى القوط عليها ، وهم أيضًا من الجنس الشمالي الأبيض زاد الاختلاط ، ثم فتحها العرب ، وهم ساميون في أصلهم ونشروا بها دينًا جديدًا ولغة جديدة ، وأصبح أهلها خلـــيطًا في جنسهم على ديانات مختلفة ، ولم يكن للبلاد قومية مسيحية ، حتى كان عهد " فرديناند " و " إيزابلا " في القرن الخامس عشر الميلادي . [١] .

والقوط هم إحدى القبائل أو الشعوب البربرية التي هبطت من شمال أوربا وقوضت صروح الأمبراطورية الرومانية ، وتقول الأساطير القديمة: إنهم نزحوا من إسكندناوة ، وهي رواية يؤيدها كثير من القرائن والشواهد ، وهم قد أبعدوا الوندال" [٢] .

ويقول أحمد أمين : " في هذه البلاد تلاقى منذ القدم الأيبريون والسلتيون واللاتين واليـــونان مـــن العنصر الأوربي ، والقرطاجنيون واليهود من العنصر الأسيوي الأفريقي ، وطـــرأت على أسبانيا أمم جرمانية مثل الفاندال والقوط ، وهؤلاء القوط كانوا هم الطبقة السائدة عندما فتحها العرب [٣] .

وكانـــت لغـــتهم اللاتينـــية ، وديانتهم المسيحية الكاثوليكية ، وقد عانى الشعب الأســـباني إبان حكم القوط ـــ صنوف الشقاء والبؤس ، وقد مزقته عصور طويلة من الظلم والإرهاق ، وكانوا يستأثرون بمزايا الغلبة والسيادة ، وينعمون بإحراز الإقطاعات والضياع الواســـعة ، وهـــم وحدهم الحكام والسادة ، أما الشعب فقد كان في حالة يرثى لها ، من

---

(١) تاريخ الأدب العربي في الأندلس / ١١ .

(٢) الوندال قبائل جرمانية غازية هبطت جنوب أسبانيا الشرقي لفترة قصيرة ، فعاثوا في الأرض فسادًا ، ثم عبروا الى شمال افريقيا فاستقروا فيه زمنا ، ولفظ الأندلس يرتبط بالوندال فقد أطلق الاسم على [illegible] فسنس " . دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة ١/ ٢١ . وما بعدها للدكتور / الطاهر أحمد مكي .

(٣) دولة الإسلام في الأندلس ج١ / ٢٦ وما بعدها للدكتور / محمد عنان - بتصرف .

الحـرمان والبؤس [١] ، فجاءهم المسلمون بالإسلام واللغة العربية فتغيرت حالهم إلى أحسن حـال ، ومـن ثم اعتـنقوا الإسلام وتكلموا العربية وعاشوا عيشة سعيدة ، طوال الحكم الإسلامي لهم ، ولذا يجدر بنا أن نتكلم عن العنصر السكاني بعد الفتح الإسلامي حتى نقف على لغة هؤلاء الفاتحين الجدد وتوالى هجرتهم إلى شبه الجزيرة .

****

[١] ظهر الإسلام / ٢٠ .

العنصر البشري لسكان الأندلس
بعد الفتح الإسلامي

دخل الإسلام في بلاد الأندلس بقيادة طارق بن زياد سنة ٩٢هـ ، وقد أرسل موسى بن نصير قبله حملة مهدت لهذا الفتح بقيادة طريف بن مالك سنة ٩١ هـ (٧١٠) م ، ثم انساحت بعده فيالق طارق بن زياد سنة ٩٢ هـ ، ثم جاء بعده موسى بن نصير سنة ٩٣هـ وتوغّلا في نواحي شبه جزيرة " أيبريا" وتم على أيديهما فتح معظم مدنها ، وكان هؤلاء الفاتحون من العرب والمعربين ، وأكثرهم من البربر الذي تعربوا ، وصار لسانهم عربيًا .

يقول الدكتور / صلاح خالص [١] : " وقد استمرت الهجرة من شمال إفريقيا ومن الشرق إلى الجزيرة دون انقطاع ، ولا شك أن نصيب البربر منها كان أكثر من نصيب العرب ، فخصب البلاد وثراؤها جذب كثيرا من سكان المغرب الأقصى ، فتركوا بلادهم ليتخذوا من البلد المفتوح وطنًا لهم ، إلا أن هجرة العرب كانت مستمرة ـ أيضًا ـ فقد قدم مع الوالي : الحر بن عبد الرحمن الثقفي في سنة ٩٩ هـ (٧١٧م) عدد من الشخصيات العربية الإفريقية ـ قيل: إنها حوالي أربعمائة أسرة ، ثم كان دخول بلج بن بشر القشيري على رأس بضعة آلاف من الشخصيات العربية ، قدروا بحوالي سبعة آلاف في سنة ١٢٣هـ (٧٤١م).

ويقول الدكتور / عمر فروخ مبينًا أماكن استقرار هؤلاء الفاتحين والمهاجرين من العرب والبربر : " اختار العرب السكنى في منطقة على الشواطئ الشرقية والجنوبية ثم سهل قرطبة ؛ لأن هذه الأماكن كلها تشبه بلادهم في المشرق أما البربر فنزلوا في الهضاب الوسطى وعلى القسم الجنوبي من الشواطئ الغربية لأن مناخ هذه البلاد وطبيعة أرضها التي تكاد تكون كلها مراعي يشبهان بلادهم في المغرب الأقصى ، وقد جرى هذا التوزيع دون إكراه ؛ لأن العرب كانوا أقل من البربر " [٢] .

ونستطيع أن نحصر عناصر سكان الأندلس فيما يلي :-

---

[١] " إشبيلية في القرن الخامس الهجري " ص ٣ وانظر نفح الطيب ج١/١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٩ طبعة ليدن .

[٢] انظر : محاضرات في الحضارة العربية / ١٢ .

١ – العـرب الداخلون : وهم الذين دخلوا بلاد الأندلس تحت قيادة طارق وموسى بن نصير ، وكذلك الذين قدموا مع القائد بلج بن بشر القشيري سنة ١٢٣هـ والذين قدروا بعشرة آلاف من الشاميين القيسية ،وهؤلاء الداخلون قسمان :-

أ – البلديون : وهم الذين جاؤوا مع طارق بن زياد وموسى بن نصير وهم عرب وبربر يتحدثون بالعربية وكان العرب أكثرهم من اليمنية .

ب – الشاميون : وهم الذين جاءوا مع بلج بن بشر القشيري ، يقول المقرى : "ولما كثر الشاميون في قرطبة فرقهم أبو الخطاب حسام بن ضرار ، فأنزل أهل جند دمشق في " البيرة " و " غرناطة " وسماها دمشق .

وأنزل أهل حمص في " إشبيليه " وسماها : حمص ، وأهل الأردن في " رية " وأهل " قنسرين " في " جيان " وأهل جند " فلسطين " في " شذونة " وسماها " فلسطين " وأهل مصر في " تدمير " وسماها : مصر " [1] .

٢ – البربر : كان البربر يؤلفون معظم جيوش طارق بن زياد ثم توالت أفواجهم إلى شبه الجزيرة عندما علموا بنجاح حملة طارق في فتوحاته ، وتقرب أفريقيا موطنهم الأصلي من الأندلس كثرت هجرتهم إليها أملا في ظروف معيشية رغدة وأكثر ملاءمة ، وكانوا من قبائل بربرية مختلفة وكانوا من البداية أكثر من العرب وهم يدخلون في قسم البلديين ضد الشاميين المهاجرين ، وكان أكثرهم من قبائل مطغرة ومديونة ومكناسة وهوارة أو ما يسمى البتر ، ثم جاءت الهجرات بأناس من فرع " البرانس " [2] وكان معظمهم يسكن النواحي الشمالية حيث الجبال التي تشبه أماكنهم التي اعتادوها من قبل .

ويقول المستشرق " ليفي بروفنسال " : " وقد اضطرهم العرب في أكثر الأحايين على الإقامة في المرتفعات مما جعلهم قليلي الحظ والنعمة وصاروا عرضة للقحط والجفاف اللذين نزلا في بعض السنين ، مما حمل بعض الجماعات من هؤلاء البربر على العودة – طوعاً أو كرها – إلى بلادهم [3] .

---

[1] نفح الطيب ج١ / ٢٢١ ، ٢٢٢ .
[2] فجر الأندلس / ٣٨١ : ٣٨٢ .
[3] بروفنسال ١٦٨/٣ .

ويناقش الدكتور / حسين مؤنس هذه الدعوى فيذهب إلى أن الإقامة لم تكن مدروسة ، وإنما كانت على المصادفة ، ولو أن الفتح سار في طريق غير التي سار فيها لما تكاثر العرب حيث تكاثروا [١] .

ونحن نرى أن الغالبية من هؤلاء البربر قد استعربوا ودخلوا في الإسلام وصارت العربية لسانهم أو ولدوا مسلمين وتوارثوا اللغة العربية عن آبائهم ، سواء كان هؤلاء المهاجرون من الجنود الفاتحين أو من الذين هاجروا فيما بعد ، فهم والعرب في لغة الحديث سواء وهي العامية العربية ، وإن اختلفوا في الشكل واللون .

٣ - السكان الأصليون : وهم يشتملون على الفئات الآتية :-

أ - المسالمة : وهم الذين اعتنقوا الإسلام وتركوا دين النصارى وكان يطلق عليهم أسم " المسالمة " أحيانًا .

ب - المولدون : وهم سلالة هؤلاء الذين اعتنقوا الإسلام وولدوا في الإسلام ونشأوا في ظلاله وتربوا في أحضانه ، وكان المولدون في زمن الإمارة الأموية يكونون القسم الأكبر والأهم من السكان في قرطبة لأن اعتناق الإسلام كان يجري بكثرة واستمرار ، في خلال حكم عبد الرحمن الثاني (٢٠٦ : ٢٣٨هـ) ومن بين هؤلاء المولدين من كان حرًا تمامًا ، ومنهم من كان عبدًا وآخرون يرتبطون بالقبائل العربية برباط الولاء ، كما احتفظ قسم كبير منهم بأسمائهم الأسبانية القديمة [٢] .

ج - العجم : وهم الذين بقوا على ديانتهم المسيحية من السكان الأصليين وكان يطلق عليهم اسم " المستعربين " " موزاراب " وذلك لأنهم تمازجوا مع العنصر العربي ، وتحدثوا العربية ، وتعلموا ثقافتهم ولبسوا ملابسهم ، وقد أصبحت العلاقات بين المسلمين الجدد والقدماء وثيقة بمرور الأيام ، نتيجة الاختلاط والتزاوج ، وقد كانوا لهذا التمازج أثره في انتشار العربية بمستوييها العامي والفصيح ، وقد عاش هؤلاء المستعربين في تسامح ورئام وتمتعوا بالجاه والمنصب مثل " أرطباس " الذي كان موضع تكريم عبد الرحمن الداخل [٣] (١٧٢:١١٣هـ) .

---

(١) فجر الأندلس / ٣٨٧ ، ٣٨٩ والحركة اللغوية / ٢٥ .
(٢) أشبيلية في القرن الخامس الهجرى / ٣١ .
(٣) تاريخ افتتاح الأندلس / ٣٨ ومابعدها .

٤ – الموالـــي : كثر هؤلاء الموالي في جزيرة الأندلس وكثر عددهم بعد سقوط الدولة الأمـوية في المشرق وقد ارتبط بعضهم بالولاء للبيت الأموي التماسًا للشرف وعلو المنزلة وظـل أمراء بنى أمية يحلونهم المراكز الممتازة في الإدارة وغيرها ومن عائلاتهم المشهورة بنو شهيد وبنو فطيس وبنو حدير وبنو معيث [١] .

٥ – الصـقالبـة : وهـم المماليك الذين كانوا يجلبون من عدة بقاع أوربية وخاصة من المـناطق السلافية عن طريق تجار الرقيق وقد بدأ هؤلاء الصقالبة يظهرون كعنصر في المجتمع الأندلسي منذ أيام عبد الرحمن الداخل .

وقد كثر هؤلاء حتى إن المقرى يذكر أن عددهم تجاوز ثلاثة عشر ألفا في قرطبة " وحدها ، وقد لعبوا دورًا مهما في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) وقد كون منهم الخلفاء حرسا خاصًا يعتمدون عليه كل الاعتماد ، كما وصلت أعداد منهم إلى رتب رفـيعة في الجـيش ساعدتهم على القيام بالدور المهم الذي قاموا به [٢] ، وقد اعتنق هؤلاء الإسلام ، وتعلموا العربية واتخذوا الطابع الأندلسي كاملاً ، وفقدوا كل اتصال ببلادهم إلا أنهـم استطاعوا أن يحملوا على الأقل بعض التقنيات الجديدة وبداهة جاؤوا معها في الوقت نفسه بالألفاظ التي تتطلبها هذه الحياة مهما كانت قليلة " [٣] .

٦ – الـيهـود : عـاش هؤلاء في الأندلس وقد وجدوا من المسلمين كثيرًا من التسامح وحسن المعاملة بعد أن وجدت تلك الجالية اليهودية في فتح المسلمين لأسبانيا منقذا من جور القوط الذي كانوا يرزحون تحت نيره ، وقد تمتع بعضهم بالجاه والمنصب مثل " حسداى بن شـبروط " الطبـيب الذي كان من كبار رجال الخليفة الناصر كما كان من ذوى النفوذ الواضـح لـدى المستنصـر [٤] وكانت لهم مؤسساتهم الإدارية والقضائية التي تعني ببعض مشاكلهم الداخلية ومنازعتهم ، وتلك المعاملة الحسنة التي لاقوها من المسلمين جذبت كثيرًا من اليهود الشرقيين إلى هذه البلاد وكانوا يتحدثون بالعربية فاصطحبوها معهم إلى الأندلس وقد ساعد اليهود القدامى الفاتحين بسبب ما لاقوه من حكام القوط [٥] .

---

(١) فجر الأندلس ٣٨٩ .
(٢) الصقالبة في الأندلس للدكتور / أحمد العبادي .
(٣) الحضارة العربية في أسبانيا / ١٠٩ .
(٤) طبقات الأطباء ج٢/٥٠ .
(٥) نفح الطيب ج١/١٦٦ طبعة ليدن .

يقـــول الدكـــتور / صلاح خالص : " إن هذا التكوين المعقد للمجتمع الأندلسي ليضعنا أمام مشاكل مهمة صعبة الحل فقد جاء العرب إلى هذه البلاد غزاة فاتحين يصحبهم عدد كبير من غير العرب ، وأعني بهم البربر ، فأستوطنوا هذه البلاد ، وامتزجوا بأهلها كل الامتزاج ، ولكنهم بدل أن يذوبوا في هذا الخضم البشري وهم قلة نسبيا ، بدل أن يفقدوا مميزاتهم الخاصة ، وهم في بداية الطريق بدل أن يضيعوا لغتهم في وسط أقوام يتحدثون بلغات تختلف كل الاختلاف عن لغتهم .

أقول : بدل أن يكونوا كذلك نراهم يشيدون صرح حضارة تعتبر جزءًا لا يتجزأ مـــن الحضارة الإسلامية ... نراهم ينتجون أدبًا عربيًا أصيلا مستندًا في أكثره إلى التقاليد الأدبـــية العـــربية المـــوروثة وسائرا في الخط نفسه الذي يسير فيه الأدب في مواطن العرب الأصـــلية في الجزيـــرة والعراق والشام بل إن قرطبة كانت خلال قرون طويلة المركز الثاني للحضارة الإسلامية بعد بغداد " [١] .

ويقـــول الدكتور / أحمد هيكل : " بقي أن نقرر أن هؤلاء الأندلسيين وإن كانوا مولدين جنسًا ومختلطين دماء فهم عرب في قوميتهم لأنهم عرب في عقيدتهم وثقافتهم ولغتهم وكـــل جوانب حضاراتهم فإذا كانت لهم بعض خصائص العرب فيما وراء الشكل والطبع ومن هنا كان تراثهم عربيًا يأخذ مكانه بين تراث العرب على مر العصور " [٢] .

ومع تعدد تلك العناصر فالذي ساد تلك البلاد هو العنصر العربي وذلك بحكم قوته وحضـــارته وسيطرته على الحكم ، حتى صارت اللغة العربية لسان تلك البلاد في فصحاهم وعاميتهم ، وقد سيطرت العربية بمستوييها الفصيح والعامي .

وهـــناك أدلـــة عديدة تثبت صحة ما نقول من سيطرة العربية لغة للأدب وللحياة اليومية على السواء ، منها :-

١- اعـــتقادي أن عامـــية السكان الأندلسيين كانت عربية لا لاتينية ولا رومانية حتى وإن كانت اللاتينية لسانهم قبل الفتح الإسلامي ، ونحن لا نقول إن لسانهم انتقل إلى العربية بعد الفتح مباشرة بل أخذ اللسان العربي يسود مع توالي الأيام مع كثرة دخول السكان الأصليين في الإسلام ، أي لم ينتقل لسانهم بين يوم وليلة ؛ لأن اللغة ظاهرة اجتماعية تتغير شيئًا فشيئًا

---

(١) انظر : كتاب " إشبيليه في القرن الخامس الهجري / ٣٤ .
(٢) الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة / ٣٧ .

مـــع وجود أسباب التغير ، وهاك الدليل الأول على انتشار اللغة العربية في الأندلس وهو دلـــيل حاســـم وقاطع في عروبة عامية الأندلس ، لأنها شهادة صدرت من معاصر من أشد الـــناس عداوة للإسلام والمناوئين لأصحابه وإليك ما قاله هذا الملحد وهو " الفارو " مطران قـــرطبة عـــام ٨٥٤م ، حين يقول : " من الذي يعكف اليوم بين أتباعنا من المؤمنين على دراســـة الكـــتب المقدســـة أو يـــرجع إلى كتاب أي عالم من علمائها ، ممن كتبوا في اللغة اللاتينيـــة ؟؟ .

مـــن منهم يدرس الإنجيل أو الأنبياء أو الرسل ؟ إننا لا نرى غير شبان مسيحيين هاموا حبًا باللغة العربية يتحدثون عن كتبها ويفتنون بها يدرسون في شغف ويعلقون عليها ، ويتحدثون بها في طلاقة ، ويكتبون بها في جمال وبلاغة ، ويقولون فيها الشعر في رقة وأناقة ، يـــا للحـــزن ! مسيحيون يجهلون كتابهم وقانونهم ولاتينيتهم ، وينسون لغتهم نفسها ، ولا يكـــاد الواحد منهم يستطيع أن يكتب رسالة معقولة لأخيه مسلمًا عليه ، ونستطيع أن نرى جمعًا لا يحصى يظهر تفوقه وقدرته وتمكنه من اللغة العربية " [1] .

ونحن نلاحظ من كلام " الفارو " السابق أنه يثبت اجتياح اللغة العربية لغيرها حتى لدى السكان المسيحيين الأصليين لشبه جزيرة " أيبريا " .

انظـــر إلى قـــوله : " يتحدثون بها في طلاقة ، ... هاموا حبًا باللغة العربية .. وينســـون لغتهم ... ونستطيع أن نجد جمعًا لا يحصى يظهر تفوقه وقدرته وتمكنه من اللغة العربية " .

وشهد شاهد من أهلها ممن سمع وعاصر كلام هؤلاء ولغاتهم العامية والفصيحة ـــ يثبت أن لسان السكان الأندلسيين المسيحيين منهم صار عربيًا أي حتى الذين لم يسلموا صار لسانهم عربيًا فما بالنا بمن أسلموا ، فهم بلا شك قد اتخذوا اللغة العربية لسانًا لهم لأنها لغة القرآن الكريم ولغة رسوله الكريم التي يتعبدون بها آناء الليل وأطراف النهار ، ونحن نرى أن النزعـــة الدينية كانت لدى هؤلاء أقوى من النزعة العرقية وهذه النزعة أدت إلى تغلب لغة الإسلام على لغتهم اللاتينية .

يقول المستشرق " ليفي بروفنسال " بصدد صدور هذا النص من مطران قرطبة " الفارو " : " لم يكن من النادر في شيء أن تجد بين رجال الدين المسيحيين الأسبان من أجاد

---

[1] الحضارة العربية في أسبانيا / ١٠٠ ترجمة أحمد مكي .

اللغة العربية وتضلع فيها وحذق آدابها ، مما يتيح لنا أن نفترض وجود صلات ودودة ووثيقة ومتصلة بين مختلف عناصر السكان ، وفيما يتصل بهذا الجانب نملك شهادة معاصرة لا يمكن الشـــك في قيمـــتها لأنها صدرت عن واحد من أبرز أبطال مناهضة الإسلام نشاطاً في شبه جزيرة " أيبيريا " خلال القرن التاسع الميلادي وهو " الفارو القرطبي Alvaro" فهو يحزن لعـــدم اهـــتمام المسيحيين في أسبانيا بلغتهم وجهلهم باللغة اللاتينية ويمجد في بلاغة رائعة الثقافة الأندلسية ولما تزل في دور التكوين " ثم نراه يسوق كلام " الفارو " السابق " [١] .

ويقـــول الدكتور / حسين مؤنس تعليقاً على نص " الفارو القرطبي " السابق : " وفي ذلـــك الحين كان عنصر المستعربين على وشك أن يتلاشى ويختفي في العنصر العربي ، وهـــذا هو أقل ما نخرج به من عبارات التعجب والاستنكار التي سجلها " الفارو القرطبي " وهـــي عـــبارات معروفة ذائعة صور لنا فيها شبان النصارى من أهل بلده متضلعين في لغة العرب وشعرهم ، مفضلين ذلك على الدر اليسير من العلم والأدب الذي كان قد بقى من العصـــر الزاهر للآداب اللاتينية في أسبانيا كما تتجلى في كتابات " إيزوادور " الإشبيلي ولم يبق في أذهان الناس من هذه الآداب اللاتينية بعد أيام " يولوجيوس " و " الفارو " القرطبيين إلا معالم غير واضحة هي التي تسمى بآداب المستعربين وقد ضاع أدب المستعربين هذا كله على وجه التقريب " [٢] .

وأرى أن صـــرخة " الفـــارو القرطبي " السابقة ، تدل على أن حركة الاستعراب كانت قوية وخاصة بين الأجيال الناشئة يقول البير حبيب مطلق : " وقد يقال : إن " الفارو " في هـــذا كان مغاليا في حماسته وأنه كان داعية للعودة إلى اللآتينية ، ولذلك فهو يغرق في اللـــوم على محبي الثقافة العربية ، رجاء أن يلفت الناس بقوة النذير وقد يقال : إن هذا كله ينصـــب على اللغة المكتوبة ، وكل هذا حق ولكن كيف يمكن أن تكون عملية الاستعراب بهـــذه القوة ، ثم تظل " عجمية الأندلس " هي اللغة الوحيدة المحكية في البيت والشارع وفي كـــل ناحـــية من نواحي الحياة اليومية ؛ ذلك من العسير تقبله ، وإذن فلا بد أن تكون لغة الحديث اليومي عربية في معظمها مشوبة بقسط من الألفاظ والتراكيب العجمية [٣] .

---

(١) الحضـارة العربية في أسبانيا / ١٠٠ للمستشرق " ليفي بروفنسال " ترجمة د / الطاهر أحمد مكي والحركة اللغوية في الأندلس / ٣٢ .

(٢) تاريخ الفكر الأندلسي / ٥ للمستشرق " آنجل جنثالث بالنثيا " ترجمة حسين مؤنس .

(٣) الحركة اللغوية في الأندلس / ٣٣ .

٢- تلك الشهادة التي صدرت من المؤرخ الإسلامي المعروف بالمقدسي [١] وهو جغرافي غير أندلسي من القرن العاشر الهجري فهو يخبرنا أنه قد التقى بحجاج أندلسيين في مكة ، وسمع إلى كلامهـــم فقال عنهم : " لغتهم عربية غير أنها منغلقة ، مخالفة لما ذكر في الأقاليم ، ولهم لسان آخر يقارب الرومي " [٢] .

فبشهادة السماع من رجل موثوق بكلامه معاصر لهؤلاء الحجاج الأندلسيين نقول إن عاميتهم عربية وإن كانت منغلقة .

فكـــم مـــن لهجات عربية الأصل منغلقة علينا في عصورنا هذه وذلك بحكم البعد المكـــاني كمـــا يحدث بين أقطار الوطن العربي الآن فلهجة المغرب منغلقة علينا نحن في هذه العصـــور ، مـــع وجـــود عـــوامل تقرب بين لهجاتنا العربية ، مثل سرعة الاتصال ووفرة المواصلات والإذاعة والتلفزيون ، وغيرها من عوامل ، فلا ينكر في العصور القديمة اختلاف اللهجات العربية ، بل وانغلاقها حينا بين الأقاليم العربية ؛ لأن عوامل التقريب والوحدة بين اللهجات كانت أضعف من عوامل التقريب في تلك العصور الحديثة .

وانظر إلى قوله : " ولهم لسان آخر يقارب الرومي " لعله يقصد اللهجة اللاتينية ، ويكاد ذلك الازدواج يكون لدى بعض الحجاج الذين أسلموا حديثاً ، وجاءوا لحج بيت الله الحرام وكانوا قبل إسلامهم على معرفة باللاتينية .

ولقد وجدنا بعض المستشرقين الأسبان مثل " خوليان ريبيرا " يتعرض للحديث عن اللغـــة التي كان يتكلمها سكان الأندلس فنراه يكتشف أن الأندلسيين كانوا يتكلمون لغتين عاميتين مختلفتين معاً : العربية والرومانية [٣] .

ونحـــن نـــرد على هذا المستشرق الذي يرى أن الأندلسيين كانوا يتكلمون بعامية عربية وأخرى لاتينية فنحن لا نقول بذلك الازدواج اللغوي في الحياة اليومية للأندلسيين بل نقول بسيطرة العربية الفصحى على المستوى الأدبي وبسيطرة العامية العربية في الحياة اليومية

---

(١) المقدسي : هو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن بكر البناء الإشارى المقدسى ولا نعرف عن حياته إلا ما حكاه هو نفسه عن حياته ، ولد في القدس ، حفيدا للمهندس المعماري الذي بنى أبواب عكا لابن طولون وجال في معظم أرجاء العالم الإسلامي ، وفي هذه الرحلات انتفع بكل المصادر الأدبية التي أتيحت له ، من كتبه : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم كتبه سنة ٣٧٥هـ - ٩٨٥م. ، تاريخ الأدب لبروكلمان ج٢/٢٣٥ .

(٢) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ص ٢٤٣ وكتاب التربية الإسلامية في الأندلس ص ١١٢ .

(٣) ابن حزم الأندلسي ص ٢٠٠ للدكتور / الطاهر أحمد مكى .

وقد يكون كلام هذا المستشرق صحيحا في بدء الفتوحات العربية للأندلس ، لكن مع توالى الأيام سيطرت العربية على سائر بلاد الأندلس حتى أصبحت اللغة الرسمية للبلاد في المعاملات والمكاتبات ، وذلك لعدة عوامل وأسباب والتي منها كثرة العنصر العربي وكثرة الفاتحين من البربر الذين دخلوا في الإسلام وتكلموا العربية وتشجيع الخلفاء والأمراء على الثقافة العربية والإسلامية وهجر العلماء المشارقة إلى الأندلس وغيرها من أدلة وأسباب هي محل ذلك البحث .

وقد ردد كثير من المستشرقين القول بالازدواجية اللغوية في بلاد الأندلس ، وللأسف قد تابعهم بعض الأدباء العرب ممن درسوا الأدب الأندلسي وهم في ذلك مخطئون لتلك الأدلة التي نسوقها في هذا البحث وأرى أن هؤلاء المستشرقين يقولون هذا القول لإظهار ضعف الحضارة العربية والإسلامية في بلاد الأندلس للتقليل من شأن العرب وأثرهم في بلاد الأندلس ، ونحن نقول إن الحضارة العربية الإسلامية قد ازدهرت وعمت شبه الجزيرة الأندلسية ، بل امتدت حتى شملت الشمال الغربي من أوربا ، بل الحضارة العربية الإسلامية في المشرق أو المغرب هي السبب الأول في الحضارة الحديثة التي تسود العالم وتعزى إلى الأوربيين .

ونحن لا نقول بالازدواج اللغوي هذا ، كما يقول ذلك المستشرق وغيره ، بل نقول بعروبة عامية الأندلسيين على اختلاف عناصرهم إلا قلة قليلة جدا من متعصبي المسيحيين الذين ظلوا على مسيحيتهم فهؤلاء كانوا على معرفة باللاتينية أو الرومانية أما الذين أسلموا أو ولدوا مسلمين فهؤلاء يتكلمون بعامية عربية ، بل وكثير من السكان الذين لم يسلموا صاروا إلى العربية وهجروا لغتهم .

ونحن نقول : إن عامية الأندلس عربية تكثر بها الألفاظ اللاتينية أو الرومانية ، وليس لهم لسان آخر ، كما يقول المقدسي أو غيره ، وهذه الألفاظ الدخيلة موجودة في لغتنا العربية من العصر الجاهلي إلى العصر الحديث ، فقد كثرت الألفاظ الفارسية في لغتنا العربية قديما وكثرت الألفاظ الرومانية واللاتينية عند الشاميين وبخاصة أيام الحروب الصليبية فلا غرابة أن تكثر الألفاظ اللاتينية في عامية الأندلس في هذه العصور .

٣ - شهادة أبي علي القالي البغدادي (ت : ٣٥٦هـ) الذي هاجر إلى الأندلس وتحدث إليهم وجالسهم فتكلموا معه وتحدثوا إليه وحدثهم . فقد رحل إلى الأندلس عام ٣٣٠هـ في عهد عبد الرحمن الناصر (٣٠٠ - ٣٥٠ هـ) وقد أخبرنا عن رحلته فقال : " وصلت

: القيروان وأنا أعتبر من أمر به من أهل الأمصار فأجدهم درجات في العبارات وقلة الفهم بحسب تفاوتهم في مواضعهم منها بالقرب والبعد ، كأن منازلهم من الطريق هي من العلم محاصة ومقايسة فقلت : إن نقص أهل الأندلس عن مقادير من رأيت من أفهامهم بقدر نقصان هؤلاء عمن قبلهم فأحتاج إلى ترجمان [١] .

قال ابن بسام : " فبلغني أنه كان يصل كلامه هذا بالتعجب من أهل هذا الأفق الأندلسي في ذكائهم ويتخطى عنهم هذه المباحثة والمناقشة ويقول لهم : إن علمي علم رواية وليس علم دراية فخذوا عني ما نقلت " [٢]

فمن هذا النص نفهم أن القالي يقول : " إنهم على درجة من الفصاحة والذكاء العربيين ولسانهم في جملته فصيح لم تؤثر فيه العجمة ، يدلنا على ذلك أن كتاباتهم لم تكن بلغة العلم الجافة بل إن المجموعة العلمية التي تجلت في كتب التراث ، وبقيت إلى الآن تقرأ تمتاز بسلامة التعبير وجودة التصوير ، حتى كتب الفقه والأصول والقراءات كلها لا تخلو من جمال في التعبير مع التحقيق العلمي ، حتى لقد وجدنا الشعر يجرى على ألسنة النساء كما يجرى على ألسنة الرجال بل وجدنا الجوارى المبدعات في شتى علوم العربية مما يدل على شيوع العربية الفصحى والعامية العربية على ألسنة جميع سكان الأندلس بوجه عام .

٤ – قال ابن سعيد الأندلسي حينما تحدث عن الشلوبين المتوفي سنة (٦٤٥هـ) : " وكل عالم في أى علم لا يكون متمكنا من علم النحو لا يخفي عليه الدقائق ، فليس عندهم بمستحق للتميز ولا سالم من الازدراء ، مع أن كلام أهل الأندلس الشائع في الخواص والعوام كثير الانحراف عما تقتضيه أوضاع العربية حتى لو أن شخصا من العرب سمع كلام الشلوبين أبي على المشار إليه بعلم النحو في عصرنا الذي غربت تصانيفه وشرقت ، وهو يقرئ درسه ، لضحك بملء فيه من شدة التحريف الذي في لسانه ، والخاص منهم إذا تكلم بالإعراب وأخذ يجرى على قوانين النحو استثقلوه واستبردوه ، ولكن ذلك مراعى عندهم في القراءات والمخاطبات والرسائل " [٣] .

---

[١] نفح الطيب ج٢ / ١٢٥ .
[٢] الذخيرة ج١/٥
[٣] نقلا عن كتاب " دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة / ٢٨ للطاهر أحمد مكى ، كتاب التربية الإسلامية / ١١٢ .

وتظهر لنا عدة أمور من هذا النص :-

أولا : الانحراف الكبير في عامية الأندلسيين عما تقتضيه أوضاع العربية الفصحى ، وهذا الانحراف يتجلى لنا فيما كتبه الزبيدى في لحن عامة الأندلس .

ثانيا : إن المقصود بكلام أهل الأندلس الشائع في الخواص والعوام هي اللغة العامية التي تختلف عن الفصحى .

ثالثا : تستطيع أن تقول : إن الشلوبين كان يستخدم العربية العامية في الشرح حتى يفهم الطلاب وهم مختلفون في ذكائهم وأعمارهم ، ولا عجب في ذلك فنحن إلى الآن نستعمل عاميتنا في الشرح حتى يفهم الطلاب بالعامية التي اعتادوا عليها .

رابعا : إن العلمـــاء قد فطنوا إلى ما لحق عامية الأندلس من تغيير وانحراف ، حتى إنهم قد ألفوا بعض الكتب في معالجة هذا الانحراف وهي تلك الكتب المعروفة بلحن العوام مثل لحن العوام للزبيدى المتوفي سنة ٣٧٩هـ .

إذن نحـــن نـــود أن نقول : إن الشلوبين المتوفي سنة (٦٤٥هـ) لم يكن يتكلم باللاتينـــية الدارجة أو الرومانية بل كان يتكلم في شرح دروسه بالعامية العربية الأندلسية ، وهذا ما يؤيده ويدل عليه نص ابن سعيد الأندلسي .

يقول المستشرق :" خوليان ريبيرا " " حينما تحدث عن لغة التدريس في الأندلس : " لقـــد اخـــتاروا في أوربا اللاتينية الكلاسيكية وعرضوها لأن تصبح نسيجا خشنا تعسا ، ولكـــن الأسبان كانوا أكثر فطنة منهم آثروا أن يستخدموا اللغة العربية وأن يلتزموا بكل قواعد النحو والصرف حين يرتلون القرآن الكريم أو يخطبون في المجامع أو ينشدون الشعر أو يقرأون الرسائل الأدبية وغير ذلك أما في الحديث العادى حتى بين الطبقات العالية والمثقفين في شرح النصوص التي تقرأ في الدرس فاستخدموا اللهجة الأندلسية لأنها بالنسبة لهم أسهل استخداما وأوضح بيانا وحتى النحويين أنفسهم وهم أحرص الناس من غيرهم بحكم ثقافتهم على اللغة التي يعلمونها كان عليهم أن يوائموا بين رغبتهم وبين عادة الناس وذوى العصر ، ونحن نعرف أن الشلوبين العالم النحوى الشهير ألف العديد من كتب النحو التي نالت شهرة واســـعة وحملت اسمه إلى كل أطراف العالم الإسلامي كان يتحدث بهذا اللهجة الأندلسية في دروسه ، ولو أن واحدًا من العرب سمع كلامه وهو يقرئ درسه لضحك بملء فيه من شدة التحريف الذي في لسانه ، لأنه كثير الانحراف عما تقتضيه أوضاع العربية والخاص منهم إذا

تكلـــم بالإعراب وأخذ يجرى على قوانين النحو استثقلوه واستبردوه ، ولكن ذلك مراعى عندهم في القراءات والمخاطبات والرسائل [١] .

ومـــع قولنا : إنه كان يتكلم بالعامية العربية لا مانع أن يكون لدى الشلوبين عاهة لســـانيه في مخـــارج حروفه وهذا العيب الخلقى هو السبب في تحريف كلامه حتى إذا سمعه تلامـــيذه ضـــحكوا منه ، إلا إن كان بالعامية فقط دون عيب خلقى وعامية الشلوبين هي عامية تلاميذه فلا محل إذن للضحك والسخرية أو الازدراء .

* * *

[١] التربية الإسلامية في الأندلس / ١١٢ .

فن الموشحات والأزجال الأندلسية

يقـــول المستشرق " آنخل جنثالث بالنثيا " : " أما الزجل فشعر يصاغ في فقرات تسمى أبياتا وتبدأ مقطوعته ببيت يعرف بالمركز أو " السمط " تليه أغصان ذات قافية واحدة ووزن واحـــد يتكون الغصن منها من ثلاثة مصاريع أو أكثر ثم يعقبها بيت في نفس المركز وقافيته وهكذا .

وأما الموشحة ـــ فنظم تكون فيه القوافي اثنتين كما هو الحال في الوشاح وهو العقد يكون من سلكين من اللالئ كل منهما لون فالتسمية هنا تشير إلى طريقة تأليف القوافي وهي تشـــبه الزجل فيما عدا ذلك : أى أن الموشحة تتألف من فقرات تسمى الأبيات كل فقرة تـــتكون مـــن عدد معين من أشطار البيوت في قافية واحدة وتعقب كل فقرة خرجة في بحر أشـــطار الغصـــن ولكن في قافية أخرى ويلتزم الوشاح قافية هذه الخرجة في كل خرجات موشحته ، أما الأغصان فقد يكون كل منها على قافية واحدة ولكن من بحر واحد " [1] .

والأزجـــال و الموشـــحات مـــن الفنون الشعبية التي شاعت و انتشرت في ربوع الأندلس ، والزجل يكون باللغة الدارجة فقد كان يتغنى به في الأسواق ، أما الموشحات فقد كانـــت باللغة العربية الفصحى ، أو هي لون من الأزجال التي هذبت في أسلوب أدبي رفيع باللغة العربية الفصحى .

وإن فـــن الأزجال ليصور لنا عامية الأندلس أصدق تصوير وإذا كان الواحد منا يســـتطيع إلى الآن أن يفهم هذا الزجل الذي جاء بالعامية الأندلسية فإن هذا يدل على أنه بالعربية لأننا لم نقرأ حرفاً من اللاتينية أو الرومانية فنحن نفهمهما لأنهما بعامية تقارب عامية أى قطر عربي في العصور الحديثة لا سيما بلدان المغرب لأنها أقرب البلدان إليها ، وكثير من ســـكان الأندلس قد هاجر إلى بلاد المغرب فلا غرابة أن تكون لهجات هؤلاء المهاجرين قد أثرت في المدن التي هاجروا إليها ، وظلت خصائص هذه اللهجات تتوارث إلى وقتنا هذا .

فهـــذان اللونان من الأدب يمثلان عامية الأندلس الشائعة في تلك العصور أصدق تمثـــيل ونحن حين نقرأ ذلك اللون من الأدب الشعبي إنما نقف على عامية الأندلس بصورة جلـــية واضـــحة ، ولذا نقول : إن من يريد دراسة مستفيضة عن خصائص عامية الأندلس

---

[1] تاريخ الفكر الأندلسي / ١٤٣ والنظر كتاب الموشح تأليف صمويل م بستيرن ترجمة د / عبد الحميد شيحة والأدب الأندلسي للمستشرق " ماريا خيسوزس " ص ١٧٣ ومابعدها

العربية إنما يتطلبها في مثل هذا اللون من الأدب الشعبي ، فنحن نجد آثار اللهجات الأندلسية المحلية ظاهرة في الأزجال وفي الأمثال وفي خرجات الموشحات وفي الكتب المصنفة في الفنون العلمية كما نجدها في المؤلفات التي قصد منها مؤلفوها إلى تصويب استعمال العامة مثل كتاب المدخل إلى تقويم اللسان لابن هشام اللخمي [١] .

وإليك نموذجا من أشهر الزجالين الأندلسيين وهو ابن قزمان لندلك على صدق ما نقول ، يقول ابن قزمان [٢] فيه : —

يا مليح الدنيا قول ... على اشي أنت يابن ملول
أي أنا عندك وجيه يتمجح ... من فيه ثم فاخلي ما تيه
ترجع أسنك وصول
مر بعده جيده سرق ... لم يرا مثل نصف
ولسي ات إلا طرف ... والذي قلنا فضول
اشئ لو أن يذا نراك ... إذ نجي وقت جفاك
كان تخليـن كذاك ... هاذه شيئا قتول [٣]

ونلاحظ أن الزجل عند ابن قزمان في ديوانه المطبوع قد جاء في لغة عامية تميزت بغياب الإعراب وبتنوع القافية وبالمركز وبغلبة النبر على العدد ومعنى الأبيات هكذا [٤] :

يا مليح الدنيا قل ، لماذا أنت متغير ، لا تثبت على حال ، إنني عندك ذو مكانة طيبة ، كيف ينفر الإنسان من وفيّه ته ما شئت فعندما يصل تيهك أقصاه سترجع وصولاً إلى حبيبك .

إن إسرافه في الدلال جيد ، إذا لم يعرف الناس مثله منصفا وعلى أي حال فلست أنت إلا طرفا في ذلك الحب وكل ما قلنا فضول ولغو وماذا عليك لو أنك سمحت لي برؤياك فأجيء إليك وقت جفاك ، لأن تركك إياي هكذا هذا شيء قاتل .

---

(١) الدراسات اللغوية في الأندلس / ٢٣٢ .
(٢) هو : أبو بكر محمد بن عبد الملك بن قزمان الأصغر ينتسب إلى بني قزمان وهو من بيوت قرطبة العريقة ولد في قرطبة سنة ٤٦٠ وتوفي سنة ٥٥٤ وكان يلقب بالشريف الوزير ، ولم ير البحر في حياته ، وقد سجن لشكوكه الدينية . انظر : تاريخ الفكر الأندلسي / ١٥٨ ، ومع شعراء الأندلس / ١٤٢ .
(٣) تاريخ الفكر الأندلسي / ١٤٤ .
(٤) المرجع السابق / ١٤٤ ، ١٤٥ بالهامش .

ومن موشحات ابن الزقاق [١] قوله [٢] :-

خذ حديث الشوق عن نفسي ... وعن الدمع الذي همعـــا

ما نـــدى شوقـــي قـــد اتقدا ... وهمـــى بالدمـــع واطـــردا

واغتـــدى قلبـــه عليك سدى ... آه مـــن مـــاء ومن قبس

بين طرفي والحشـــا جمعـــا

يقول الدكتور / أحمد هيكل : " فمن المقرر أن الموشحات كانت منذ نشأتها إلى ما بعد ذلك بقرون تنظم بالعربية الفصحى إلا الفقرة الأخيرة منها ، وهي الخرجة فقد كانت تعتمد على عامية الأندلس ومعروف أن تلك العامية كانت عامية العربية المستخدمة لألفاظ من عامية اللاتينية " [٣] .

يبدو لنا من كلام الدكتور / أحمد هيكل أن عامية الأندلس تختلف عن عامية المشرق العربي ، ولذا قيدها بقوله : " عامية الأندلس " فهي عامية توجد بها الألفاظ الرومانية أو اللاتينية يشهد على ذلك مجيء الخرجات في الموشحات الأندلسية بالعامية الأندلسية ، ولذا نقول : إنه لو سمع الشرقي الأندلسي يتكلم لعرفه أنه من أهل الأندلس لدلالة عاميته على بلده ووطنه ، وكذلك لو سمع الأندلسي أحد المشارقة لعرف بيئته لأن اللهجة تميز جنس المتكلم وبيئته .

* * *

---

(١) هو أبو الحسن على بن عطية بن مطرف بن سلحة اللخمى البلنسى الذي توفي في الثلاثينات من القرن السادس الهجرى أو في ٥٢٨ ويستشهد المقرى بكثير من شعره وقد وصلنا ديوانه تكملة الصلة رقم ١٨٤٤ ، والوافي / رقم ١٩ .

(٢) الموشح الأندلسي / ٢٤٦ .

(٣) الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط غرناطة / ١٤٤ .

طريقة التعليم في الأندلس
قد ساعدت السكان على شيوع اللغة العربية

إن طـــريقة التعليم في الأندلس قد ساعدت السكان على شيوع اللغة العربية بين الكـــبير والصغير وإتقانها ، وتعود النطق بها تلك الطريقة التي أشار إليهـــــا ابن خلدون بـــأنهم كانـــوا يبتدئون بتعليم الطفل القرآن الكريم قراءة وكتابة وحفظًا لاعتياده الأول في الأهمية ، وبهذا يتعود الصبي نطق العربية في دقة لأن القراءات القرآنية وإن اختلفت صورها هي أفضل ما ينطق ويقرأ ، في كل العالم الإسلامي ويمد الذاكرة بجمل عربية جيدة الفصاحة تهيئ التلميذ لدراسة اللغة فيتخذ من القرآن المثل والشاهد فيما بعد .

ويضـــيف ابن خلدون بأن المعلمين من العرب أو المقربين الأسبان لم يقتصروا على تعليم القرآن فحسب " وإنما يخلطون في تعليمهم للولدان رواية الشعر في الغالب ، والترسل وأخذهم بقوانين العربية وحفظها وتجويد الخط والكتاب ، ولا تختص عنايتهم فيه بالخط أكثر من جمعها إلى أن يخرج الولد من عمر البلوغ إلى الشبيبة ، وقد شدا بعض الشيء في العربية والشـــعر والابصر بهما ، وبرز في الخط والكتاب وتعلق بأذيال العلم على الجملة ، لو كان فـــيها ســـند لتعليم العلوم لكنهم ينقطعون عن ذلك لانقطاع سند التعليم في آفاقهم ، ولا يحصل بأيديهم الآن ما حصل من ذلك التعليم الأول " [١] .

ومما سبق يتبين لنا أن التعليم الابتدائي في أسبانيا الإسلامية كان أكثر تنظيمًا من بقية العالم الإسلامي وأفضل مما كان في المغرب العربي وغيره من بلدان المشرق الإسلامي ، حيث إنهـــم " يقتصـــرون على تعليم القرآن فقط ، وأخذهم في أثناء المدارسة بالرسم ومشاكله ، واخـــتلاف حملـــة القرآن فيه لا يخلطون ذلك بسواه في شيء من مجالس تعليمهم ، لا من حـــديث ولا فقـــه ، ولا من شعر ، ولا من كلام العرب إلى أن يحذق فيه أو ينقطع دونه ، فـــيكون انقطاعه في الغالب انقطاعه عن العلم بالجملة وهذا مذهب أهل الأمصار بالمغرب ومن تبعهم من قرى وبربر " [٢]

---

[١] مقدمـة ابـن خلـدون / ٥٠٧ وانظـر : التـربية الإسـلامية فـي الأنـدلس / ٣٤ ومـا بعـدها والشعر الأندلسي في عصر الطوائف / ٣٠ .
[٢] المرجع السابق نفسه / ٢٨٥ والتربية الإسلامية / ٣٥ .

وقـــد أشار صاعد في كتابه " طبقات الأمم " إلى اهتمام الأندلسيين بعلوم الشريعة واللغـــة حيث قال : " وكانت الأندلس قبل ذلك في الزمان القديم خالية من العلم لم يشتهر عند أهلها أحد بالاعتناء به إلا أنه يوجد طلسمات قديمة في مواضع مختلفة وقع الإجماع على أنهـــا من عمل ملوك رومية ، ولم تزل على ذلك عاطلة من الحكمة إلى أن افتتحها المسلمون في شهر رمضان (٩٢هـــ) فدامت على ذلك أيضا لا يعنى أهلها بشيء من العلوم إلا بعلوم الشريعة ، وعلم اللغة إلى أن توطد الملك لبني أمية بعد عهد أهلها بالفتنة ، فتحرك ذوو الهمم منهم لطلب العلوم وتنبهوا لإثارة الحقائق [١] .

وبســـبب اهـــتمامهم باللغة العربية والدراسات اللغوية من بداية الفتح الإسلامي اســـتطاعت الأندلس أن تشارك في النهضة اللغوية ، وأن يكون لها نصيب واضح في الجهود العلمية عامة واللغوية خاصة مما ساعد على انتشار اللغة العربية الفصحى والعامية على لسان جميع السكان .

* * *

---

[١] طبقات الأمم / ٤٨ .

انصهار السكان الأصليين بالعرب

وجدت عوامل كثيرة أدت إلى الاختلاط بين الفاتحين العرب والبربر وسكان جزيرة " أيبيريا " بعد الفتح الإسلامي مما جعل اللغة العربية تنتشر بينهم بسرعة وتصير لسان جميع السكان على اختلاف طبقاتهم وديانتهم ، من هذه العوامل :

أولا : إن التـــزاوج قـــد وقع على نطاق واسع بين العناصر المختلفة في الأندلس ، وبين الفاتحين الأوائل من العرب والبربر ، ويرى الأستاذ / أحمد أمين في كتابه " ظهر الإسلام أن الزواج كان أمراً لابد منه بالنسبة إلى جيش لم يغامر باصطحاب نسائه معه نظرًا بعد الشقة وصـــعوبة المغامرة ، وأزيد عليه أن تسامح الإسلام في زواج المسلم من نساء أهل الكتاب وطبيعة الزمن التي كانت تبيح التسرى والاسترقاق قد جعلت من هذا التزاوج أمرًا طبيعياً لا ســـيما والجـــيش الفاتح أمام لون من الحسن جديد يغرى بالوله بنعومته ويدفع إلى طلب الاســـتمتاع وقد توافر لهذا الجيش الفاتح في الغزوات المتلاحقة معين لا ينضب من السبايا والإيماء .

وقد قام عبد العزيز بن موسى بن نصير فتزوج أرملة " لوذريق " ثم تزوج المنصور بـــن أبي عامـــر الحاجب الشهير من إحدى بنات (شانجة الثانى) (Sancla) ملك نبرة ودخلت التاريخ تحت اسم عبدة وتركها المنصور تعطى ابنها عبد الرحمن لقبا رومانثيا مألوفا لها فكانت تناديه (شنجول) وهو تصغير لفظ (شانجه) تدليلاً له وكى يذكرها بأبيها .

ولدينا شواهد عديدة على الزواج المختلط بين شخصيات تنتمي إلى الطبقة الخاصة أو التي يجرى في عروقها الدم العربي [١] .

يقـــول الدكـــتور / عبادة عبد الرحمن كحيلة [٢] : " ترتب على زواج المسلمين الأندلســـيين لنصارى أندلسيين أن نشأت علاقات اجتماعية حميمة بين الجانبين ، ويطول بنا الحديث عن هذه العلاقات ونكتفي هنا بأن ننوه بعلاقات الزواج بين المسلمين والنصارى وأفضـــت هذه العلاقات إلى أن فقد المسلمون الوافدون نقاوتهم العرقية ، وإذا اتخذنا نموذج الأســـرة الأمـــوية كعينة فقد دعى المنذر ابن عبد الرحمن الناصر بابن القرشية لانفراده بين أقربائه لكونه قرشي الأب والأم معاً . [٣] .

---

[١] الحضارة العربية / ٢٤ .
[٢] كتاب " الخصوصية الأندلسية / ٢٤ .
[٣] المقتبس من ابناء أهل الأندلس ج٥ / ١٠ .

ثم يقول [١] : " عند انعكاس هذه العلاقات الاجتماعية على البنى الثقافية فإن لغة الأندلسيين العامية قد تأثرت باللغة اللاتينية (وقد دعوها اللطينية) بل إن الكثيرين منهم كانوا على دراية باللغة اللاتينية ذاتها وقد يجيدونها ... على أن الوجود المستمر للغة اللاتينية طيلة عصور التاريخ الأندلسي كانت له حسنة فقد شكل تحديا مستمرًا لوجود اللغة العربية ذاته وهيأ للأندلسيين حافزًا كبيرًا كي يسعوا للمحافظة على لغتهم العربية خصوصًا وقد أصابها اللحن ، وهذه ظاهرة عامة نلاحظها في الأقطار العربية التي تقع على التخوم مع العجم .. " .

إن الامتزاج بين العناصر المختلفة لسكان شبه الجزيرة الأندلسية كان مستمرًا بفضل السياسة التي اتبعها الحكام والولاة حتى أصبحت لفظة " أندلسيين " في أواخر القرن الرابع وما بعده تشمل شعبًا له صفاته ومميزاته التي تختلف عن تلك التي يتميز بها البربر في الجنوب أو في شمال إفريقيا وعن تلك التي يتميز بها القشتاليون وغيرهم من مسيحي الشمال

ثانيا : سماحة الإسلام وطبيعة الروح التي كان يتحلى بها الفاتحون الأولون كانتا معيناً على غزو القلوب كلما تمنعت الحصون ويضاف إلى ذلك كله الضمانة التي وجدها سكان الريف في عدالة الإسلام ضد طغيان الطبقة الحاكمة من القوط .

يقول الباحث السابق : " الانتماء إلى وطن بعينه دون غيره من أوطان كان يجعل إحساس المسلم الأندلسي تجاه مواطنيه النصارى الأندلسيين لا يختلف كثيرًا عن إحساسه تجاه مواطنيه المسلمين الأندلسيين وبطبيعة الحال فإن دينه الحنيف أعان على تكريس هذا الإحساس ، وهو ما نعبر عنه بالتسامح ويؤكد العديد من المؤرخين الفرنج المحدثين هذه الحقيقة ، دامت سياسة التسامح هذه قرونا عدة إلى أن قطعها استجابة النصارى الأندلسيين لغزوة ابن ذمير وهو " أذفونش المحارب " ملك أرغونة في سنة(١٩هـ - ١١٢٥) .

إن الدين الإسلامي قد فرض على الفاتحين الجدد معاملة لم يكن أهل الأندلس قد ألفوها من قبل مما جعل هذه المعاملة تربط بين الفاتحين وبين أهل البلاد الموجودين بها حيث التأم الشمل بالنسب والمصاهرة وتبادل المنافع مما هيأ لرقي المجتمع رقياً نعمت بنوره أوربا جميعًا وحسبنا أن نعلم أن العرب قد انحسر سلطانهم ولكن الحضارة العربية التي تركوها شاهدة على مدى ما كان عليه أبناء هذه الأمة بعد أن نعموا بنور الإيمان .

---

[١] كتاب " الخصوصية الأندلسية / ٢٥ .

تشجيع الحكام والولاة
علـــى نشـــر اللغـــة العربيـــة

إن أقوى الأسباب في نظرى تشجيع الخلفاء والحكام والأمراء التى تولت الحكم في أسبانيا للثقافة العربية والعلوم اللغوية وتشيجعهم للعلماء تلك الثقافة التى سارت على منهاج عـــربي ومحـــور إســـلامي على يد العرب أولا ثم سلموا الراية للأجيال الأندلسية التي تلت ذلـــك .

وإذا كان الخلفاء الأمويون في المشرق تعصبوا لكل ما هو عربي فإننا نجدهم كذلك في الأنـــدلس تعصـــبوا للعـــربية وجعلوها اللغة الرسمية للبلاد فقد اعتقد الخلفاء الأمويون بالأندلس ومن جاء بعدهم أن لغتهم أثمن رصيد لهم ؛ لأنها إرث غال ينبغي أن يحافظوا عليه ، وأنه يجب أن يسود العرب ؛ وأن تسيطر العروبة وأن يحافظ على كل ما يتصل بالعرب من أمـــور حـــتى الموالى كانوا يتوسلون بإتقان العربية كى يحتلوا المكانة المرموقة في الدولة كما توســـل عامة الشعب من السكان الأصليين إلى ذلك فاتخذوا العربية لسانا لهم في محاوراتهم ومخاطباتهم كما كانوا يتحدثون بالفصحى في مواطن الخطابة والشعر وغيرها .

ومما يدل على تشجيع الخلفاء لانتشار اللغة العربية صدور منشور [1] من هشام بن عبد الرحمن الداخل يقضى بأن تكون اللغة العربية لغة العلم في المدارس والمعاهد ولغة البلاد الرسمية وقد ظهر أثر هذا المنشور في التراث الأندلسي الذي خلفوه وورثناه من بعدهم فقد كثـــرت المعاهـــد والمدارس التي تستخدم اللغة العربية في التدريس والتى أخرجت لنا تراثاً ضخماً حفظته خزائن العلم ودور المخطوطـــات .

يقول الدكتور / الطاهر أحمد مكى : " كانت اللغة العربية اللغة القومية ولأنها لغة ثقافة ووعاء حضارة لم تجد على بطحاء شبه الجزيرة الإيبرية لغة أخرى تدخل معها في صراع أو تقاوم زحفها ولأنها لغة القرآن فرضت نفسها لغة فلإدارة أيضاً وأصبحت لغة الحديث في اجـــتماعات الأصدقاء المثقفين وفي الصالونات الأدبية وتحرير الرسائل والوثائق الرسمية وفي الإبـــداع الأدبي شعرًا ونثرًا ولغة التعليم بنوعيه الابتدائي والعالي على السواء وفي العلاقات الدولية ، ومع المشرق بخاصة أو على مستوى الدول وكان التمكن منها شرطاً لتولى أي من

---

[1] قرطبة في التاريخ الإسلامي / ٩٠ ، ومدرسة التفسير في الأندلس / ٣٠ .

المناصـــب العامة والتفوق فيها الطريق الوحيد إلى النبل المكتسب والوظائف العليا ، ومن ثم كان على الأندلسيين من غير المسلمين يهوداً أو مستعربين أن ينبغوا فيها إذا أرادوا أن يجدوا لهم مكاناً مرموقاً تحت شمس الخلافة ونعرف من بينهم أدباء وشعراء كانوا يكتبون فيها شعراً جميلاً ونثرا راقيا "[1] .

* * *

[1] دراسات عن ابن حزم / ٢٤ .

بقاء العربية في مدن الأندلس
بعـــد الجـــلاء العربـــي عن الأندلس

ســـقطت الأنـــدلس ســـنة ٨٩٧هـــ - ١٤٩٢م٠ ، ولكن ظلت العربية لسان الموريســـيكيين والمدجـــنين بـــل والمستعربين ممن بقوا على النصرانية ، وظل هؤلاء يكتبون صـــكوكهم ومعـــاملاتهم باللغة العربية التي ظلت لغة الثقافة عند الأسبان إلى ما بعد الجلاء العـــربي ، يـــدل على ذلك ما ذكره الأمير شكيب أرسلان نقلاً عـــــن ابن عبد الرفيع النازح الأندلسي الذي استطاع أن يزور أسبانيا بعد جلاء أهلها : " أن من عرف كون ابن عـــبد الـــرفيع تـــوفي عام ١٠٥٢هـــ ، يظهر له أنه منذ نيف وثلاثمائة فقط كان في جيان وغـــرناطة وإشبيلية وقرطبة إناس يدينون بالإسلام سراً وأغرب من هذا وجود هؤلاء ، في طلـــيطلة المصاقبة لمجريط والتي كان مضى على استرجاع الأسبانيون لها يوم زارها ابن عبد الـــرفيع أكثر من خمسمائة سنة ، ولقد علمت من كتب الأوربيين أن اللغة العربية بقيت هي لغة الثقافة عند الأسبانيين ولغة المعاملات والأخذ والعطاء وبها تكتب النصوص والعقود إلى سنة ١٥٨٠م ، عند ذلك صدر الأمر من الدولة الأسبانية بمنع الكتابة والكلام بالعربي ولقد سمعـــت ما هو أغرب من هذا ، وهو أنه بقيت قرى إلى أوائل القرن التاسع عشر في نواحي بلنسية يتكلم أهلها بالعربي " [١] ٠

وهناك كتاب اسمه [٢] " المستعربون في طليطلة في القرنين الثاني عشر والثالث عشر للمستشـــرق الأســـباني (أنخل جنثالث بلنثيا) يتضمن صكوك بيع وشراء نقلت عن خطها العربي الأصيل بالزنكوغرافيا وترجمت إلى الأسبانية وهو يشتمل على ١٥١ صكاً وهذا يدل علـــى أن التعامل كان في طليطلة بعد الاحتلال سنة ٤٧٥هـــ بخمسمائة سنة كان لا يزال باللغة العربية وأن أكثر أهلها كانوا عربا أو من المستعربين ومن يطالع تلك الصكوك يظهر له أن بعض الأسماء مسيحية وآباءهم أسماء إسلامية مما يدل على أن هؤلاء الأبناء قد تنصروا أو سموا بها ولكن قلوبهم مطمئنة بالإيمان وهؤلاء هم الذين يسمون بالمدجنين أو الموريسكيين ٠

---

[١] انظر حاضر العالم الإسلامي ج٢ /٢٦ ، ٢٩ ٠
[٢] الحياة الاجتماعية في الأندلس / ٣٨ ٠

يقـــول الأستاذ / محمد سعيد الدغلى [١] : " يهمنا من هذه النصوص أن نذكر أن مجتمعا هذه لغته بعد الاحتلال الأسباني بخمسمائة أو أكثر بالنسبة لبعض المقاطعات لا يمكن أن تكـــون عاميته لاتينية وأعلام الفتح العربى ترفرف على الأندلس وصقلية فيتنسم رفيفها السادرون في مهامه الجهالة فيما وراء " البيرنة " .

ولـــو كان العلماء والمثقفون في الأندلس لديهم الأزدواج اللغوي لما استطاعوا أن يؤلفوا هذا التراث الرائع الذي نقرؤه ، فلو كانوا يتكلمون اللاتينية الدارجة لكانت اللغة العربية بالنسبة لهم أجنبية ومن المستحيل أن يكون الإنسان في غير لغته شاعراً فذا أو كاتبا بليغاً .

إن مجتمعاً كانت فيه النساء ، بل الجواري والفتيات من أكابر الأدباء والشعراء لا يمكـــن أن تكـــون عاميته غير عربية فإذا كان هؤلاء متقنات للعربية الفصحى فلا شك أنهن يتكلمن بالعامية العربية في أحوالهن العادية ويعلمن أولادهن تلك العامية العربية .

يقـــول المستشرق : " ماريا خيسوس " : " هذه النوعية الفاخرة من السرارى أي الفتيات أو الجواري المغنيات قد تلقين تعليما بعناية خاصة حتى يمكن أن يرضى عنهن مواليهن ... فهـــؤلاء يمكـــن لهـــن أن يصلن إلى درجة تسمح لهن بمناقشة أو محاورة المتضلعين أو المتبحـــرين من مواليهن في اللغة والأدب فضلا عما كن يعرفنه على وجه خاص من آلاف الأبيات الشعرية التى تلقينها " [٣].

كـــيف تكون عامية الأندلس لهجة لاتينية أو رومانية وإنا لنجد بعض الفلاحين في مدن كثيرة يتقنون الأشعار العربية فنحن نرى ياقوت يروى [٢] أنه سمع ممن لا يحصون عددا أن أهل " شلب " يقل بينهم من لا يقول شعراً حتى الفلاح إذا مر به أحد وسأله عن الشعر قرض من ساعته ما اقترحه عليه إذا كانت هذه الحـــال في " شلب " فكيف بالمدن الكبرى المتقدمة كقرطبة دار العلوم ،و"إشبيلية " موطن المعتمد بن عباد .

إذا كان الشعر وهو أرقى فنون الأدب يبرع فيه الفلاح فما بالنا بالمثقفين فما بالنا بشـــعراء المثقفين إنني أكاد أقول كادت العربية تكون سليقة لدى سكان الأندلس وبخاصة العامية منها .

---

[١] الحياة الاجتماعية في الأندلس / ٣٩ .
[٣] الأدب الأندلسي / ٥٧ للمستشرق " ماريا خيسوس روبييرا متى " .
[٢] معجم البلدان ج٣/٣٥٧ .

نحـــن نســـتطيع أن نضيف إلى أسباب انتشار اللغة العربية الكثير والكثير فوق ما ذكـــرنا مثل حفظ الأندلسيين للقرآن الكريم وما تنطوى عليه اللغة العربية من عناصر القوة والحـــيوية والمـــرونة والقدرة على الاستيعاب والاستجابة لأحوال المجتمع ومتطلباته وعناية الأندلسيين بتنشئة أطفالهم على حب العربية ورواية الشعر العربي وحفظه ليربوا فيهم الملكات الأدبـــية جـــارين في ذلك على ألسنة العربية القديمة [١] ، حتى رأينا من علماء الأندلس من كانوا مفخرة على مر العصور ، ازدهرت وأينعت على أيديهم وأثبتوا بجدارة أنها اللغة التي تملك من القوة ما يحفظ استمرارها ومن السحر والبيان ما يبعث على تذوقها وتلمس مواطن الجمال فيها .

بعـــد هذا نستطيع أن نقرر أن اللغة العربية باعتبارها لغة الحضارة ، قد زحزحت اللغة اللاتينية حتى غدت اللغة الرسمية في البلاد كما أن الإسلام أصبح دينها الرسمي وكان لها تـــأثير في كل اللغات الأوربية استمر طيلة وجودها في أوربا وبخاصة الأندلس وصقلية وما حولها من الجزر حتى أواخر القرن الخامس عشر الميلادي بل بعد هذا القرن بقرون .

وبعـــد زوال الخلافـــة الإســـلامية بالأنـــدلس وسقوط غرناطة يتجلى لنا شقاء الموريسكيين الاجتماعي الذين بقوا في الأندلس ولم يغادروها يتجلى لنا فيما خلفوه من أدب قليل فقد لا يحمل من العربية إلا أحرف هجائها إذ إنهم جهلوا العربية ولم يعودوا يعرفون غير الأســـبانية فكتـــبوا بهـــا ما عَنَّ لهم تدوينه وسجلوه بحروف عربية وهذا ما يعرف بالأدب الخميادي أي المستعجمي [٢] .

وإذا كـــان الوجود العربي تقلص من هذه البلاد فإنه قد ترك بصماته على ألسنة أهلها المتكلمين بالأسبانية أو البرتغالية أو غيرها من اللغات الحية حتى الآن .

وبعـــد فقد كنا نود أن نقف على خصائص عامية الأندلس العربية ، ولكن أرجأنا الحديث عنها في بحث خاص في العام القادم ـــ إن شاء الله تعالى ـــ .

* * *

---

[١] الإسلام في اسبانيا / ٧٣ .
[٢] تاريخ الفكر الأندلسي / ٣٥ .

مراجع البحث ومصادره

١- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم لشمس الدين المقدسي نشر دى خويه طبع مكتبة الجغرافيين العرب .

٢- الأدب الأندلسي تأليف المستشرق " ماريا خيسوس روبيرا متى " ترجمة وتعليق الأستاذ / أشرف على دعدور طبع المجلس الأعلى للثقافة ١٩٩٩

٣- الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة للدكتور / أحمد هيكل ـ طبع دار المعارف سنة ١٩٦٧م. الطبعة الثانية .

٤- إشبيلية في القرن الخامس الهجرى تأليف الدكتور / صلاح خالص ـ طبع دار الثقافة ـ بيروت سنة ١٩٨١م.

٥- الأندلسيون المواركة للدكتور / عادل سعيد بشناوى مطابع " انترناشيونال برس " بمصر سنة ١٩٨٣م. ـ ١٤٠٣هـ .

٦- تاريخ الأدب العربي في الأندلس : تأليف الدكتور / إبراهيم على أبو الخشب ـ طبع دار الفكر العربي بالقاهرة الطبعة الأولى سنة ١٩٦٦م.

٧- تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ترجمة الدكتور / عبد الحليم النجار ـ طبع دار المعارف بمصر سنة ١٩٦١م.

٨- تاريخ افتتاح الأندلس لابن الاقوطية ـ دار النشر للجامعيين ـ بيروت سنة ١٩٥٧م

٩- تاريخ الفكر الأندلسي للمستشرق " أنخل جنثالث بالنثيا " تعريف الدكتور / حسين مؤنس ـ نشر مكتبة الثقافة الدينية سنة ١٩٥٥م.

١٠ - الحركة اللغوية في الأندلس تأليف الدكتور / البير حبيب مطلق ـ طبع المكتبة العصرية ـ بيروت سنة ١٩٦٧م.

١١- ابن حزم الظاهري تأليف الدكتور / فاروق عبد المعطى ـ طبع دار الكتب العلمية ـ بيرون سنة ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

١٢ - الحضارة العربية في أسبانيا تأليف المستشرق " ليفي بروفنسال " ترجمة الدكتور / الطاهر أحمد مكى ـ طبع دار المعارف سنة ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

١٣ – الحياة الاجتماعية في الأندلس وأثرها في الأدب الأندلسي تأليف / محمد سعيد الدغلى ــ مطبعة الملاح سنة ١٩٨٤م – ١٤٠٤هـ الطبعة الأولى

١٤ – دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة تأليف الدكتور / الطاهر أحمد مكي سنة ١٩٨٣م. ط الثانية .

١٥ – دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة تأليف الدكتور / الطاهر أحمد مكي ــ طبع دار المعارف بمصر سنة ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م. الطبعة الرابعة .

١٦ – الدراسات اللغوية في الأندلس منذ مطلع القرن السادس تأليف الدكتور / رضا عبد الجليل طيار المكتبة الوطنية ببغداد سنة ١٩٨٠م.

١٧ – دولة الإسلام في الأندلس تأليف الدكتور / محمد عبد الله عنان طبع مكتبة الأسرة سنة ٢٠٠٣م.

١٨ – الزخيرة في محاسن اهل الجزيرة لابن بسام نشر إحسان عباس سنة ١٩٧٩م

١٩ – الشعر الأندلسي في عصر ملوك الطوائف ــ تأليف المستشرق " هنرى بيريس " ترجمة الدكتور / الطاهر أحمد مكي طبع دار المعارف بمصر ١٩٨٨م الطبعة الأولى .

٢٠ – طبقات الأمم للقاضي صاعد الأندلسي تحقيق حسين مؤنس طبع دار المعارف بمصر سنة ١٩٩٣م.

٢١ – ابن عبد البر الأندلسي وجهوده في التاريخ تأليف الدكتور / ليث سعود جاسم ــ طبعة دار الوفاء ــ الطبعة الثانية سنة ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

٢٢ – فجر الأندلس تأليف الدكتور / حسين مؤنس طبع القاهرة سنة ١٩٦٥م.

٢٣ – قراءات في أدب أسبانيا وأمريكا اللاتينية تأليف الدكتور / حامد أبو أحمد ــ طبع الهيئة العامة بمصر سنة ١٩٩٣م.

٢٤ – قرطبة في التاريخ الإسلامي ــ تأليف الدكتور / جودة هلال ، ومحمد محمود صبيح ــ طبع المؤسسة المصرية العامة للتأليف والطباعة سنة ١٩٦٢م.

٢٥ – اللحن في اللغة ــ مظاهر ومقاييسه تأليف الدكتور / عبد الفتاح سليم ــ طبع دار المعارف بمصر سنة ١٩٨٩م.

٢٦ – المسلمون في الأندلس تأليف المستشرق " رينهرت دوزى " ترجمة الدكتور / حسنى حبشي ــ طبع الهيئة العامة المصرية سنة ١٩٩٥م.

٢٧ – مع شعراء الأندلس والمتنبي للمستشرق " أميلو غرسيه غومس " تعريب الدكتور / الطاهر أحمد مكي طبع دار المعارف بمصر سنة ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م. الطبعة السادسة .

٢٨ – الموريسيكون الأندلسيون تأليف المستشرق " مرثيديس غارثيا أرينال" ترجمة وتعريب الدكتور / جمال عبد الرحمن ــ طبع المجلس الأعلى للثقافة سنة ٢٠٠٣م.

٢٩ – الموشح الأندلسي تأليف المستشرق " صمويل م بستيرن " ترجمة الدكتور / عبد الحميد شيحة ــ نشر مكتبة الآداب سنة ١٩٩٦م. الطبعة الثانية .

٣٠ – مقدمة ابن خلدون تأليف / عبد الرحمن بن خلدون طبعة دار الشعب بالقاهرة.

٣١ – نفخ الطيب في غصن الأندلس الرطيب للمقرى تحقيق محيى الدين عبد الحميد ــ طبع القاهرة سنة ١٩٤٩م.

* * *